فالمنع منه على الإطلاق قول من ليس له خلاق **الرابعة** أن قيل الانفراد في الذكر أفضل أم الاجتماع
يقال أن كان الذاكر كاملاً يستأنس بذكره منفرداً وتكمل جمعيته بذلك فالانفراد له أفضل وأن كان
بخلاف ذلك فالاجتماع أولى لأن له تأثيراً في إزالة الرين ورفع الحجب من القلب قال بعضهم مثل
ذكر الواحد وحده وذكر الجماعة كمثل مؤذن واحد ومؤذنين جماعة فكما أن أصوات المؤذنين جماعة
تقطع جرم الهوى أكثر مما يقطعه صوت واحد كذلك ذكر جماعة على قلب واحد أكثر تأثيراً وأشد
وقع في رفع الحجب عن القلب من ذكر واحد وحده وأيضاً يحصل لكل واحد ثواب ذكر نفسه وثواب
سماع ذكر غيره ولأن الله تعالى شبه القلوب القاسية بالحجارة بقوله تعالى ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة والحجارة لا تنكسر إلا بقوة فكذلك القلوب لا تنفتح
وتزول قساوتها إلا بالذكر القوي وهو في الاجتماع أقوى فإن قيل الاجتماع قد عدّه بعضهم
بدعة منكرة **قلت** إطلاق ذلك غير صحيح بل الظاهر أنه سنة حسنة يحبها الله ورسوله
إذا كان موافقاً للشرع وأي عبادة أفضل من عبادة قوم يجتمعون لذكر الله سبحانه وقد علم
من دليله من الكتاب والسنة والأثر فوق الكفاية وأما إذا كان لرياء وسمعة وتفاخر وتلحين
وتقطيع للألفاظ وتمطيط وتغني فذاك قبيح أشد قباحة وبدعة منكرة وهو الغالب في
زماننا على أكثر اجتماعات الناس للذكر وختم القرآن ونحوها إذ لا يخلو مجلس من المجالس من
الآفات إلا إذا كانوا من أهل الله المؤيدين بنور الله الفارقين بين الحق والباطل بمعونته ونصره
لا بعلمهم وعملهم وقليل ما هم فاجتهد يا أخي في معرفة نفسك وغوائلها وما لها وما عليها
ولا تكن كمن قال الله تعالى فيهم قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وقد قال بعض العارفين أني لا أخشى على هؤلاء أكثر مما أخشى
على من يجتمع على آلات اللهو والمعاصي لأنهم معترفون بأن فعلهم قبيح ومعصية وهؤلاء يعتقدون
أنهم على طاعة وقربة مع كون فعلهم معصية قبيحة ولقد صدق في قوله مع أنهم معجبون
بأحوالهم متكبرون بأقوالهم وأفعالهم والمعجب بعيد من الخيرات والمتكبر مغمور في بحار الزلات ولأجل
ذلك قال مجاهد رحمه الله تعالى أني لأرى الرجل على معصية فأرجو له المغفرة أكثر من رجائي
في طاعتي **وقال** سفيان ابن عيينة رحمه الله تعالى من كانت معصيته في الشهوة فأرجو له التوبة

قال آدم

فإن آدم عصى مشتهياً فغفر له ومن كانت معصيته في كبر فخوف عليه اللعنة فإن إبليس عصى متكبراً فلعن
ورحم الله سيدي ابن عطاء الله حيث قال معصية أورثت ذلاً وافتقاراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً
الخامسة إذا قيل أيما أفضل ذكر لا إله إلا الله مفرداً أو مع زيادة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالجواب
أن الناس مختلفون في ذلك فمنهم من فضل الجمع بينهما ومنهم من فضل غيره وعلى الأخير ينبغي أن يختلف ذلك
باختلاف الأحوال والأشخاص فمن كان لا يتأذى بحرارة لا إله إلا الله وكانت موافقة لطبيعته فالأولى
له الإفراد لأنها متضمنة للشهادة المرسول صلى الله عليه وسلم إذ من معناها نفي كل كمال عن غير الله
وإثباته له سبحانه وأي كمال أعظم من إرساله لسيد الوجود وعين كمال الرحمة والجود صلى الله عليه وسلم
ولذلك أفردت في كثير من الأحاديث منها ومن كان يتأذى بحرارتها وتفرق جمعيته فالأولى له أن
يجمع بينهما بقدر الحاجة إذ الثانية تعدل الأولى ببرودتها ورطوبتها ولذلك يأمر بها كثير من
العارفين من كان حاله كذلك **السادسة** هل الأفضل الذكر أم تلاوة القرآن للعلماء في ذلك اختلاف
مشهور وأقربه إلى الصواب وعليه الجمهور قول الشيخ ابن الجزري في حصنه وأفضل الذكر القرآن إلا فيما
شرع بغيره ويقول الفقير كان الله له ويزاد فيقال ويختلف أيضاً بحسب اختلاف الحال فإن كانت
الحال يقتضي الأنس بكلامه فهو أولى وأفضل إذ هو ربيع القلوب وخطاب الحبيب المحبوب وإن اقتضى
الأنس بغيره من الأذكار فهو أولى عند ذوي الأبصار لئلا يؤدي إلى إملال كلام الله تعالى وإملال ذكره
والله أعلم وقيل القرآن أفضل للعلماء ذوي الاستنباط **وقال** الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رحمه الله
تعالى في الفتوحات ينبغي للمحقق أن لا يذكر الله إلا بالأذكار الواردة في القرآن يعني قاصداً بها الذكر والتلاوة
معاً حتى يكون في ذكره تالياً ليجتمع له أجر الذاكرين والتالين إلى آخر قوله **وقال** الإمام أبو حامد الغزالي
رضي الله عنه قراءة القرآن أفضل للخلق كلهم إلا الذاهب إلى الله تعالى في جميع أحوال بدايته وفي بعض أحوال
نهايته فإن القرآن هو المشتمل على صنوف المعارف والأحوال والإرشاد إلى الطريق فما دام العبد مفتقراً
إلى تهذيب الأخلاق وتحصيل المعارف فالقرآن أولى به وإذا كان العبد غير مفتقر إلى تهذيب الأخلاق
وتحصيل المعارف بل جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه بحيث يرجو له أن يفضي به ذلك إلى الاستغراق
فمداومة الذكر أولى فإن القرآن يحادث ذاكره ويسرح به في رياض الجنة والمريد الذاهب إلى الله تعالى
لا ينبغي له أن يلتفت إلى الجنة ورياضها بل ينبغي أن يجعل همه هماً واحداً وذكره ذكراً واحداً

Copyright © King Saud University